الأنساق الثقافية في ادب وادي الرافدين

جاسم حميد جودة الطائي هبه محمد صكبان
جامعة بابل/ كلية التربية للعلوم الانسانية
D. JassimHamid222@gmail.com

الخلاصة

وجدت الدراسة ان التحديد الجغرافي لكلمة وادي الرافدين هو مرحلة من مراحل تبدل التباين على المكان الجغرافي الذي يسمى حديثاً (العراق) اذ سبقت هذه التسميات تسميات أخرى مثل (اوروك) او (اونوك) وتعني المستوطن، وفي وثيقة اخرى تعود الى القرن الثاني عشر قبل الميلاد ذكرت انه جاء ذكر إقليم على هيأة (أريقا) يرجح انه الاصل العربي لبلاد بابل، وقد اطلقت تسميات أخرى مثل (كي–أن–جي) والتي تعني بلاد سومر، أما تسمية بلاد ما بين النهرين فقد اطلقها الاغريقيون بين القرن الرابع والثاني قبل الميلاد على المكان الجغرافي المحصور بين النهرين (العراق) باللفظة الاغريقية (ميزوبوتاميا) وهي مشتقة من (ميسو) وتعني الوسط و (بوتاميا) وتعني (الانهار).

وبذلك يكون مفهوم أدب وادي الرافدين هو الادب الذي ظهر حصراً في بلاد ما بين النهرين (ميزوبوتاميا).سجل هذا الأدب الصراع الحضاري الاول بين الحضارتين الاموية والابوية وقد حاولت الدراسة كشف آليات هذا الصراع والأنساق المضمرة التي وجهت كتابة الادب بالكيفية التي وجدت عليها في الحفريات وتم ذلك عبر استعمال أليات النقد الثقافي إذ إنه يسمح برؤية مرنة ومتحركة في كشف مضمرات النص المحركة للمعاني الاولى التي أسست الحضارة الرافدينية والحضارات الاخرى في المنطقة.

الكلمات المفتاحية: النقد الثقافي، النسق الثقافي،أدب بلاد الرافدين،ملاحم وأساطير

Abstract

The study found that the geographical identification of the word Mesopotamia is the stage of change the contrast on the geographical location of the newly named (Iraq) as these labels preceded the other labels such as (Uruk) or (Aonuk) means settler, and in another document dating back to the second century BC said that he was mentioned territory on the board (Orivia) it is likely that the Arab origin of Babylonia, has launched other labels such as (so-to-G), which means Sumeria, and the naming Mesopotamia has launched Greeks between the fourth century and the second BC the geographic location of trapped Mesopotamia (Iraq) Ballfezh Greek (Mesopotamia) which is derived from (Miso) means the middle and (Potamia) and means (rivers.(Thus, the concept of Mesopotamia literature is a literature which appeared exclusively in Mesopotamia (Mesopotamia). This literature scored the first civilizational conflict between the two civilizations maternal and paternal The study tried to detect mechanisms of this conflict and formats implied that guided the writing literature in the manner that I found in the excavations was done through the use of the mechanisms of cultural criticism, as it allows a flexible and mobile vision to detect Amadmrat driving the text for the first meanings of which Mesopotamian civilization and other civilizations in the region was founded.

Key words: cultural criticism, cultural pattern, literature Mesopotamia, epics and legends.

المقدمة

تمثل ملاحم وادي الرافدين وأساطيره نصوصاً ثقافية ذات نزعة إنسانية تعبر عن عمق نظر ودقة في التفكير فضلاً عن إنفتاحها على ثقافات أُخرى كاليونان والرومان وبلاد مصر القديمة مما حقق لهـا القبـول العالمي.

وقد ظهرت ملامح الإبداع في حضارة وادي الرافدين ووادي النيل في مطلع الالف الثالـث ق.م وقـد جعل الكشف عن مخلفات حضارة وادي الرافدين الباحثين يؤكدون على أن اصول العلوم والمعارف والفنـون والأداب وجدت اسسها الاولى في حضارة وادي الرافدين [١].

ولعل في النتاج الادبي ما يعكس هذه الاصول اذ تميزت بنزعتها الوجودية وعالجت قـضايا الكـون والخليقة والحياة والموت وما بعد الموت . واظهرت تلك النصوص سمات الهيمنة الفكرية والروحية والتفوق على آداب الامم الأخرى وحضاراتها [٢] .

وقبل الخوض في التعريف بالنتاج الأدبي لوادي الرافدين لابدّ من التطرق اولاً للتعريف بكلمـة بـلاد الرافدين (ميزوبوتامبا) او ما يسمى (بالعراق القديم).

اذ يرى الباحثون ان كلمة (عراق) مشتق مـن كلمـة (اوروك) وتعنـي المـستوطن او (أونـوك) (Uruk.Unug) ويرى المؤرخ المعروف (أومستد) ان اول استعمال لكلمة عـراق فـي العهـد (الُكـشي) (منتصف الألف الثاني ق.م) في وثيقة تأريخية تعود في تأريخها الى حدود القرن الثاني عشر ق.م. وجاء فيها اسم إقليم على هيئة (أريقا) يراه الباحث المذكور انه الاصل العربي لبلاد بابل [٣].

واطلقت على بلاد الرافدين تسميات أخرى مثل (كي- إن- جي) والتي تعني بلاد سومر وهي القـسم الجنوبي من السهل الرسوبي و (كي – اوري) التي تعني بلاد أكد ، وهي القسم الاوسط من ذلك السهل ولـم تكن هناك حدود بين سومر وأكد.

أما القسم الشمالي فقد عرف باسم (سوبارو) او (سوبارتو) المشتق مـن (الـسوباريين) (الفراتيـون الأوائل) الذين سبقوا السومريين في سكنى جنوب بغداد ثم أطلق البابليون اسم (سوبارو) لتعني الشمال [٤].

ويرى الأستاذ طه باقر ان تسمية (بلاد سومر) او الاصح (شومر) جاءت فـي المـدونات الأكديـة السامية على هيئة (مات شومريم) بلاد السومريين وتكتب بمجموعة العلامات المسمارية (ki-en-gi) وقيـل انها تعني (أرض سيد القصب) وتلفظ العلامتان المعبّر بهما عن (بلاد أكد) أي (ki-uri) في اللغـة الاكديـة (مات آكديم) (بلاد الآكدين) وهكذا تنتفي الحدود بين ما كان يسمى بلاد اكد وبلاد سومر [٥].

ثم اطلق البابليون اسم (سوبارو) لتعني بلاد الشمال، كما أطلق الكشيُّون لفظة (كاردويناش) على بـلاد بابل، وهي تعني بلاد الإله (دويناش) الرب القومي لهم واستمرت هذه التسمية لعصور متأخرة امـا تـسمية (عبر النهر) فهي (أيبرناري) أطلقها الاخمينيون على العراق من سوريا حتى حدود فلسطين (بلاد كنعان) في إثناء احتلالهم للعراق[٦] ولعلهم قصدوا بذلك السهل الرسوبي الاخضر ورافده.

---

[١] ينظر: مقدمة في أدب العراق القديم: طه باقر، دار الحرية ، بغداد، ط١ ، ١٩٧٦: ١٠.

[٢]ينظر: م ، ن: ١٠.

[٣]ينظر: مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة (الوجيز في تأريخ حضارة وادي الرافدين)، طه باقر، دار الوراق، بيروت، ط١، ٢٠٠٩:ج١ ،٢٠-٢١ .

[٤]ينظر: تاريخ الشرق الأدنى القديم ، د. قيس حاتم هاني الجنابي، دار الصفاء، عمان، ط١، ٢٠١٠: ٩٤.

[٥] ينظر: مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة(الوجيز في تاريخ حضارة وادي الرافدين) ، ج١ : ٢٢.

[٦] ينظر: تاريخ الشرق الادنى القديم، الجنابي: ٩٤-٩٥.

كما ان هناك تسميات اخرى منها (بلاد بابل) و(بلاد أشور) ومنها التسميتان الاوربيتان (بابيلونيا–Babybnia) و (آسريا–Assyria) [١] وقد اشتهرت هذه الاسماء في مدونات المؤرخين امثال (هيرودوتس) الذي اطلق اسم (بلاد أشور–آشريا) على شمال العراق وأسم بلاد بابل (بابيلونيا) على وسط وجنوب العراق وأحياناً يستعملون (بابل او أسِّريا) لإطلاقه على البلاد كلها[٢].

ثم استخدم الاغريق ما بين القرن الرابع والثاني ق.م كلمة ميزوبوتاميا (Mesopotamia) (ميسوبوتاميا):(بلاد الرافدين) او (بلاد ما بين النهرين) المشتقة من كلمة (ميسو) تعني (وسط) و (بوتاميا) تعني (الأنهار)[٣].

ولعل اقدم استخدام لهذا الاسم ظهر في كتاب المؤرخ الشهير (بوليبيوس Polybius) (٢٠٢ –١٢٠ ق.م) وقد تتبع (بوليبيوس) الجغرافي الشهير (سترابو) او (سترابون) (٦٦٤ ق.م . ١٩ ميلادي) اصول كلمة (ميزوبوتاميا) وقد أطلقه على السهل الواقع بين دجلة والفرات من الشمال الى حدود بغداد. وهو يرادف بذلك مصطلح (الجزيرة) الذي اطلقه الكلدانيون العرب على القسم الشمالي من بلاد وادي الرافدين[٤] .

وقد شاع هذا الاستعمال الجغرافي بعد ذلك في اللغات الاوربية وبشكل خاص بعد ترجمة التوراة الى اليونانية واللغات الاوربية اذ جاء في التوراة ذكر الأقليم المسمى (أرام نهرايم) في سفر التكوين (٢٤:١٠)[٥]. فقد جاء في العهد القديم اسم (سهل شنعار) ليعني منطقة السهل الرسوبي وهو مشتق من الكلمتين الأكاديتين (شينا) ومعناها (اثنان) وكلمة (نار) أي نهر لتعني بذلك (أرض النهرين) [٦].

أما لفظة العراق التي بدأ استعمالها في القرون الأربعة الأولى التي سبقت الاسلام اطلقها الساسانيون (٢٢٦–٦٣٧م) على ولاية سورستان (العراق والاحواز) [٧].

وقد اختلف الباحثون في تفسير لفظة (عراق) فقد تكون ذات علاقة مع الكلمة السومرية (أنوك) او (اوروك)– كما مر سابقا– التي تأتي بمعنى (المستقر) وبها سميت مدينة اوروك، الا إنه مع ذلك لم يطلق أي من التسميتين على البلاد كلها، ومنهم من ربطها مع كلمة (اريقار) التي وردت في نصوص العصر الكُشي او انها من لفظة (ايراك) التي تعني باللغة الفهلوية الارض المنخفضة او السفلى او الجنوبية او انها تعني الجرف او الساحل او حتى جسر مأخوذة من (عرقا) الواردة في كثير من للغات الجزرية[٨].

لأنه على شاطئ دجلة وقيل: سُمي عراقاً، لقربه من البحر) [٩] وهي بذلك تتفق مع تسمية الكلاسيكين (الاغريق) والبلدانيون العرب حيث قصدوا الجزء المحصور بين دجلة والفرات.

ويورد ابن منظور ان اهل الحجاز اطلقوا التسمية ذاتها عليه بقوله (واهل الحجاز يسمون ما كان من البحر عراقاً وقيل سمي: عراقاً لأنه استكف أرض العرب، وقيل سمي به لتواشج عروق الشجر والنخل به

---

[١] ينظر: مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة(الوجيز في تاريخ حضارة وادي الرافدين)، ج١ ، باقر: ٢٣.

[٢] ينظر: م. ن: ٢٣.

[٣] ينظر: م. ن: ٩٥.

[٤] ينظر: مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة(الوجيز في تاريخ حضارة وادي الرافدين)، ج١: ٢٤.

[٥] ينظر: م ، ن: ٢٤–٢٥.

[٦] ينظر: تاريخ الشرق الادنى القديم: ٩٥.

[٧] ينظر: م. ن: ٩٦.

[٨] ينظر: م. ن: ٩٦.

[٩] لسان العرب: للإمام العلامة ابي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الافريقي المصري، المجلد الرابع، (ص–ض–ط– ظ– ع)، دار صادر، بيروت، ط١، ١٩٩٧، ٣١٥.

كأنه أراد عرقاً ثم جمع على عِراقٍ. وقيل : سميّ به العجم سمته ايران شهر، معناه كثير النخل والشجر فعرّب فقيل عراق، وقال الأزهري، قال أبو الهيثم زعم الاصمعي ان تسميتهم العراق اسم اعجمي معرب إنما هو ايران شهى فأعربته العرب فقالت عراق. وايران شهر موضع الملوك، والعرقان الكوفة والبصرة...) [١].

وقد كان العرب يطلقون على بلاد ما بين النهرين الشمالية او العليا اسم الجزيرة الذي قلنا انه يكاد يطابق مصطلح (ميزوبوتاميا) اليوناني واطلقوا اسم العراق على الاقسام الوسطى والجنوبية مما يسمى العراق الآن، وكانوا يميزونه في بعض الأحيان بنعته بالعراق العربي تميزاً له عن عراق العجم والجزء الجنوبي من إيران ، كما سموا السهل الرسوبي بالسواد لخضرته[٢].

النتاج الأدبي في بلاد الرافدين:تتوزع النصوص الأدبية السومرية والبابلية المكتشفة في بلاد الرافدين على تسعة ابواب وهذه الأبواب هي :

اولاً: الأدب الروائي: ويتضمن الى هذا الباب ثمانين نصاً أدبياً منها ثمانية وعشرون نصاً سومرياً واثنان وخمسون نصاً أكادياً تشتمل على الاساطير والملاحم والقصص والنصوص التي تمجد الآلهة[٣].

ثانياً: أدب التراتيل والصلوات: ويضم ثلاثة وستون نصاً أدبياً سبعة وعشرون منها باللغة السومرية وستة وثلاثون باللغة الأكدية ومن ضمن هذه النصوص وإثنان دونا باللغة السومرية والأكدية معاً[٤].

ثالثاً: نصوص الرثاء: ويبلغ عدد ما أكتشف منها في الأدبين السومري والأكادي ستة عشر نصاً. وقد دونت عشرة منها بالسومرية وستة بالأكدية ويمكن تقسيم نصوص المراثي السومرية الى أربعة مجموعات هي المراثي التاريخية ، والمراثي الشعائرية ،ومراثي الإله المختفي (القتيل) ، والمراثي الشخصية [٥] .

رابعاً: الرسائل الأدبية: ووصلت منها مجموعتان باللغة السومرية وأربعة عشر نصاً باللغة الأكدية والمجموعتان السومريتان هما:

١- رسائل موجهة الى آلهة وتتضمن تضرع وتوسل .

٢- رسائل ملكية مصاغة بأسلوب أدبي رفيع.

أما الأكادية فهي أربع مجموعات تتوزع الى : رسائل موجهة الى او صادرة من إله وهي،ورسائل ملكية ، ووسائل مصاغة باسلوب يجمع بين الاسلوب الأدبي الرفيع ونصوص التطهير ، ورسائل مدونة للمحاكاة او لأغراض تعليم الكتابة [٦].

خامساً: المناظرات والمفاخرات والحوارات:وهناك اربعة وعشرون نصاً سومرياً وأكادياً تدخل في هذا الباب منها سبعة عشر نصاً باللغة السومرية وسبعة باللغة الأكادية والنصوص في هذا الباب تنقسم الى ثلاث مجموعات هي: المناظرات ، والحوارات ،والحوارات التعليمية [٧].

---

[١]لسان العرب: للإمام العلامة ابي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الافريقي المصري، المجلد الرابع، (ص-ض-ط- ظ- ع)، دار صادر، بيروت، ط١، ١٩٩٧: ٣١٥.

[٢] ينظر: م . ن: ٢٥.

[٣] ينظر: حقيقية السومريين: ٥٧.

[٤] ينظر: م ، ن: ٦٤-٦٥.

[٥] ينظر: م ، ن: ٦٩.

[٦] ينظر: حقيقة السومريين م . ن: ٧١.

[٧] ينظر: م . ن: ٧٣.

سادساً: أدب الحكمة

ويشغل باباً واسعاً يشتمل على نصوص متنوعة في مواضيعه وأساليبه ويتضمن ثمانية عشر نصاً وخمس مجموعات، فدونت ثمانية نصوص وثلاث مجموعات باللغة السومرية ،وعشرة نصوص ومجموعتان باللغة الأكادية، والنصوص السومرية التي تنتسب الى هذا الباب ثلاث مجموعات وهي: نصوص روائية تعليمية ،ونصوص تاريخية ،وحكم وأمثال ، اما الأكادية فهي أربعة نصوص: الارشادات ، وبضمنها مجموعة واحدة ،الابتهالات التعليمية ،مجموعة الامثال والحكم ،وقصص الحيوان [١].

سابعاً: أدب السحر: وتنقسم نصوص السحر الادبية السومرية والأكادية الى ابواب فرعية متعددة، فالنصوص السومرية من هذا النوع تنقسم الى صنفين : الاول نصوص السحر الأدبية المقترنة بأداء اليمين والثاني: تعاويذ المحبة، وقسمت الاولى الى أربع مجموعات:

أ- صنف مردوخ – أيا: لتخليص الأشخاص المبتلين بالشياطين.

ب- الصنف القضائي: لضمان قيام الكهنة بمهامهم.

ج- الصنف التنبؤئي: لحماية الاشخاص من الشر والارواح الشريرة.

د- الصنف التكريسي: لضمان تطهير المواد المقترنة بالعبادة.

وهذه الأصناف ذاتها في الأدب الأكادي تتحد لتشكل نوعاً واحداً خاصا بالتطهير ويضاف اليه سلسلة طويلة من نصوص (لَمَشتو) التي ابتدأت في العصر البابلي القديم والعصر الآشوري القديم ، كانت تستعمل ضد خطر الكلاب والافاعي والولادة والامراض وغيرها[٢].

والانواع الثلاثة من نصوص الأدب الأكادية هي: سلاسل التطهير ، سلسلة أدعية سحرية ثنائية اللغة ، مع مجموعة واحدة، ونصوص الطقوس السحرية[٣].

ثامناً: أدب السخرية والهزل والفكاهة

ويبلغ مجموع النصوص السومرية والأكادية المكتشفة من هذا الباب سبعة واحد منها سومري وستة أكادية، والنص السومري بصيغة رسالة تتألف من أحد عشر سطراً ، مؤلفة على لسان حيوان (قرد اسمه أوجوبي) يخاطب بها أمه، اما النصوص الأكادية فيمكن تقسيمها الى ثلاث مجموعات وهي: نصوص الأدب الساخر (١-٢) الهجاء (٣) وأدب الدعاية (٤-٦) ويمكن ان يُضاف نص حوار (التشاؤم) لنزوعه العبثي في الأدب كما يرى الباحثون[٤].

تاسعاً: نصوص أدبية متفرقة

ويشتمل هذا الباب على اثنين وعشرين نصاً ،ومجموعة واحدة من النصوص السومرية والأكادية التي لاتدخل ضمن الأبواب الأدبية الثمانية ومن هذه النصوص يوجد ثلاثة عشر نصاً أدبياً سومرياً والبقية باللغة الأكادية وهي أربعة مجموعات: التنبؤات ، مجموعة نصوص تميتو[*]، شعر الغزل ،وشعائر السنة الجديدة [٥]. وبهذه تكتمل انواع الادب الرافديني على اختلاف انواعه وصنوفه ليشكل منجزاً متكامل الابعاد

---

[١] ينظر: م . ن : ٧٥-٧٦.

[٢] ينظر: م . ن: ٧٧.

[٣] ينظر: حقيقة السومريين: ٧٧.

[٤] ينظر: م. ن: ٨٠.

[*] تميتو : وهي نصوص تبتدئ بكلمة (تميتو) دائماً لتقدم جواباً عن سؤال متعلق بالفأل. والاسئلة عادة تقدم الى " شمش" او " أدد" وتتعلق بمختلف شؤون الحياة.

[٥] ينظر: حقيقة السومريون: ٨١.

والموضوعات. وسنقف في تحليل هذا النتاج الادبي على نموذجين أحدهما نموذج روائي وهو سفر التكوين البابلي:قصة الخليقة ملحمة"حينما في الأعالي" وهو نص مكون من سبعة الواح تحكي قصة الخليقة والنشأة الاولى للآلهة . والآخر نموذج شعري مكون من أثنتي عشر لوحا هو" ملحمة جلجامش" أوديسة العراق الخالدة.

مفهوم النقد الثقافي:النقد الثقافي كما يوحي اسمه نشاط فكري يتخذ من الثقافة على اختلاف أبعادها موضوعاً لبحثه [١].

ويعرف ستيورات هال الثقافة بقوله:" ان الثقافة هي الممارسات المعيشية او الايديولوجيات العملية التي تمكن مجتمعاً او جماعة او طبقة من اختبار شروط وجودها وتعريفها وتأويلها وإضفاء معنى عليها". [٢]

ويعرض ريموند وليامز بكتابه (الثقافة والمجتمع) (١٧٨٠- ١٩٥٠) أربعة معانٍ متميزة للثقافة هي: الثقافة بوصفها طبعاً عقلياً فردياً، والثقافة بوصفها حالة من التطور الفكري الذي يصيب مجتمعاً كاملاً، والثقافة بوصفها الفنون والآداب والمعارف، والثقافة بوصفها طريقة حياة كلية لمجموعة من البشر[٣].

ويعرف طومسون الثقافة بقوله:(الثقافة نمط من المعاني تتجسد في أشكال رمزية في الافعال والالفاظ والاشياء ذات المغزى، من مختلف الانواع التي بموجبها يتواصل الافراد مع بعضهم البعض ويقتسمون الخبرات والتصورات والمعتقدات) [٤].

ان النقد الثقافي فعالية تستعين بالنظريات والمفاهيم والنظم المعرفية التي تطرح النظريات الثقافية ومن ذلك يتضح حجم المساحة التي يشغل فيها هذا النقد.

فهو يبدأ لبلوغ ما تأنف المناهج الأدبية المحض عن المساس به، فهو يبدأ من (الوضيع) و(اليومي) و(السوقي) الى النصوص المنتقاة والمنتخبة يتناقلها. فالنقد الثقافي نشاط يستثمر المفاهيم والنظريات في قراءة الفنون الراقية الشعبية، ومهمة النقد الثقافي مهمة متداخلة، ومتعددة. فنقاد الثقافة يأتون من مجالات مختلفة، وبمقدور النقد الثقافي ان يشمل نظرية الأدب وعلم الجمال والنقد والتفكير الفلسفي وتحليل الوسائط والنص الشعبي وغيرها من الفنون والمعارف[٥]. والنقد الثقافي بهذا الجهاز المفاهيمي المتعدد يتيح له القرب من فعل الثقافة واستنطاق مستوياتها لهذا يحيل نقاد الثقافة على اصحاب النظريات والمفاهيم من شتى الحقول والمعارف مثل كارل ماركس وفلاديمير بروب وجاك لاكان ، وغريماس، وكليفورد غيرتس ، وفكتر تيرنز ، و ريموند وليامز ومارشال مكلوهان فهذه الاسماء شاركت فعلياً في التوسع في قراءة الافكار والأنساق والاتجاهات وهذه الاسماء منحت الدراسات الثقافية فرصة التعمق في الثقافة وفعلها[٦].

ويُعدّ "فنست ليتش" أول من استعمل مصطلح النقد الثقافي. وأراد به الإشارة الى نوع من النقد يتجاوز البنيوية وما بعدها، والحداثة وما بعدها الى نقد يستخدم السوسيولوجيا والتاريخ والسياسة والمؤسساتية دون ان

---

[١] ينظر: دليل الناقد الادبي – إضاءة لأكثر من سبعين تياراً واتجاهاً نقدياً – ميجان الرويلي، سعد البازعي، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط٥، ٢٠٠٧: ٣٠٥.

[٢] م.ن: ٨٠.

[٣] ينظر: دليل الناقد الادبي – إضاءة لأكثر من سبعين تياراً واتجاهاً نقدياً – ميجان الرويلي، سعد البازعي، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط٥، ٢٠٠٧: ٨١.

[٤] النظرية الثقافية: وجهات نظر كلاسيكية ومعاصرة ، ترجمة وتقديم محمود احمد عبد الله، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط١، ٢٠١٢: ١٩٢.

[٥] ينظر: النقد الثقافي المقارن، "من منظور جدلي تفكيكي"، عز الدين المناصرة، دار مجدلاوي، الاردن،ط١، ٢٠٠٥: ٢٣١-٢٣٢.

[٦] ينظر: النظرية والنقد الثقافي : الكتابة العربية في عالم متغير واقعها، سياقاتها وبناها الشعورية،محسن جاسم الموسوي ،المؤسسة العربية للدراسات والنشر،بيروت،ط١ ،٢٠٠٥ : ١٢.

يتخلى عن مناهج النقد الأدبي واهم ما يقوم عليه هذا النقد هو تجاوز الأدب الجمالي الرسمي الى تناول الانتاج الثقافي أياً كان نوعه ومستواه[١].

فالنقد الثقافي عند (ليتش) يستوعب متغيرات ما بعد البنيوية برفضها للعقلانية التنويرية وعدم اكتراثها بالتوجيهات الأساسوية التي تؤمن بوجود الأسس المطلقة، او الحدود التقليدية بين التخصصات والموضوعات وما هو معتمد او رسمي في الثقافة[٢].

ويحدد ليتش معالم النقد الذي يشير إليه بثلاث معالم رئيسة:

١-اهتمام النقد الثقافي لا يقتصر على الادب المعتمد او المتعارف عليه وانما يشمل ما هو خارج المعروف والمتداول.

٢-إنّه نقد يقوم على نقد الثقافة الحاضنة، وتحليل النشاط المؤسساتي بالإضافة الى اعتماده على المناهج النقدية التقليدية.

٣-إنه يعتمد على مناهج مستقاة من اتجاهات ما بعد البنيوية وما بعد الحداثوية كما تتمثل في اعمال الباحثين الثقافيين امثال: رولان بارت وجاك دريدا وميشيل فوكو[٣].

ويشترك المفكر تيودور ادورنور في الاشارة المبكرة الى مصطلح النقد الثقافي في المقالة التي صدرت بعنوان (النقد الثقافي والمجتمع) حيث هاجم فيها هذا اللون من النشاط عادا اياه نقداً برجوازياً يمثل مسلمات الثقافة السائدة يبعدها عن الروح الحقيقة للنقد ويننتقد ما في هذه النظرية من نزوع سلطوي (سياسي) للسائد والمتعارف عند الاغلبية [٤].

إن الهدف الرئيسي للنقد الثقافي هو فهم الثقافة بجميع اشكالها المركبة والبسيطة وتحليل السياق الاجتماعي والسياسي لها. فالدراسات الثقافية ليست نظاماً وانما هي مصطلح تجميعي لمحاولات عقلية مستمرة ومتنوعة تنصب على موضوعات مختلفة وتتألف من اوضاع سياسية وأطر نظرية مختلفة ومتنوعة ومتعددة[٥].

النشأة والتطور:حظي النقد الثقافي والدراسات الثقافية بالشيوع الواسع في التسعينات من القرن العشرين مع ان بعض اصول الدراسات الثقافية تعود الى مدرسة فرانكفورت النقدية التي ابتدأت منذ (١٩٦٤)، ومنذ ان تأسست مجموعة برمنغهام في انجلترا تحت مسمى "مركز برمنغهام للدراسات الثقافية المعاصرة "، مرّ المركز بتطورات وتحولات أدت الى الاهتمام بالنقدي الثقافي مع النظريات النقدية النصوصية والألسنية [٦] .

ففي عام (١٩٧١) يقول (ايزابرغر) بدأ مركز برمنغهام للدراسات الثقافية المعاصرة في جامعة (برمنغهام) بنشر أوراق عمل في الدراسات الثقافية، وقد تناولت وسائل الاعلام والثقافة الشعبية والثقافات الفرعية والمسائل الايدلوجية والأدب وعلم العلامات والجنوسة (Gender) والحركات الاجتماعية[٧].

ويحدد (ريتشارد هورغات) اول رئيس لمركز برمنغهام ثلاثة مصادر للنقد الثقافي :تاريخية وفلسفية، وسوسيولوجية ، وأدبية نقدية ، كما ركز على العوامل الاقتصادية والمادية، ولاسيما الاتجاه المسمى بالمادية

---

[١] ينظر: في النقد والنقد الألسني، ابراهيم خليل، امانة عمان الكبرى، د.ط، ٢٠٠٢: ١٢٦.

[٢] ينظر: دليل النقد الأدبي، اضاءة لأكثر من سبعين تيارات واتجاهات نقدياً: ٣٠٨- ٣٠٩.

[٣] ينظر: م ، ن: ٣٠٩.

[٤] ينظر: م ، ن: ٣٠٦-٣٠٧.

[٥] ينظر: مدخل في نظرية النقد الثقافي المقارن، أ.د. حفناوي بعلي ، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط١، ١٤٩٨- ٢٠٠٧: ١٤.

[٦] ينظر: مسارات النقد ومدارات ما بعد الحداثة ، حفناوي بعلي، أمانة عمان، الأردن، ط١، ٢٠٠٧: ١٢٧-١٢٨.

[٧] ينظر: النقد الثقافي المقارن(منظور جدلي تفكيكي): ٢٣٢.

الثقافية ومفهوم رأس المال الثقافي ويذهب الى ان النقد الثقافي، يمجد الخطاب المعارض والاحتفال بالهامش، والاهتمام بالمهمل والمهمش . مما فتح ابواباً للبحث الانساني (الانثروبولوجي) النقدي الجريء وتحليل واقع الثقافة ومعالم الاضمحلال وتهميش الابعاد الانسانية المرتبطة بالتحرر والانعتاق[١].

فالنقد الثقافي لايدور حول الفن والأدب فحسب، وإنما حول دور الثقافة في نظام الاشياء بين الجوانب الجمالية والانثروبولوجية (الإنسانية) بوصفه دوراً يتمايز في اهميته وخطورته ليس لما يكتشف عنه من الجوانب السياسية والاجتماعية فقط بل لأنه يشكل كذلك النظم والانساق والقيم والرموز والعلامات ويصوغ وعينا بها وإدراكها ومن هنا تتبدى لنا علاقة النقد الثقافي بالانثروبولوجية الرمزية المقارنة[٢].

كما يرتبط النقد الثقافي بالنقد الادبي لا بصفة الملازمة، وإنما بصفة الدربة والمهارة في قراءة النصوص، أساليبها وبناها مما يؤدي الى توسيع رؤية القارئ واخذه بعيداً عن الوصف العادي والتحليل الجمالي للوقائع[٣].

فالنقد الادبي ليس المزاولة المدققة لتحليل النصوص، وانما المهارة النظرية في قراءة كل نص، من خلال الاتيان بمعية غيره من النصوص مما تحقق حضوراً قوياً وفاعلاً او مؤثراً دون امتداد في عدد من غيره من النصوص يحقق حضوراً دون الارتباط بالنصوص الماضية والمعاصرة، اذ يرى "تي- سي إليوت" ان (قوة) الحضور تتأكد فقط عند الانتماء الى موروث قوي فالنصوص ليست (بلاغات) مستقلة. ولهذا تستعاد أدبياً قراءة الموروث او المواهب الفردية لمعرفة حدود المشاركة الفردية داخل منظومات موروثة[٤] .

وبهذا تحوّل النص في هذا الخطاب النقدي من الواحدية الى التعددية وأصبح وثيقة تعكس القيم الايديولوجية والسياسية من ناحية وتتخذ نقطة انطلاق لأعادة تطور تلك القيم وإعادة بناءها في ظل صراع طبقي ثقافي لا يتوقف من ناحية اخرى[٥].

هكذا يتكامل النقد الأدبي مع آليات النقد الثقافي فالقول بالعزلة بين النقد الثقافي والنقد الادبي ليوصلنا الى حقيقة النص النسبية . فالقراءة الصحيحة النسبية تشمل فضاءات النص على تنوعها : دائرة النصف، (نواته) محيطه، علاقاته، ظرف انتاجه. ويتم ذلك ضمن آليات اصبحت معروفة للتحليل ومعالجة النص وتقويمه (الزمان، المكان، الشهرة، الأنساق التأويل) وبهذا يمكن ان يشمل النقد الثقافي[٦].

وبهذا يصبح النص علاقة ثقافية تتحقق دلالاتها فقط داخل السياق الثقافي الذي انتجها، أي ان النص الذي ينتمي الى الماضي يجب ان يفسر داخل السياق الثقافي السياسي والسلطوي لمؤلفه او داخل السياق الثقافي الذي يعيد للقارئ الحديث تخيله وبناءه . وبموجب هذين المحورين وترسيخ قيمهما يُحَدَدَ النسق الثقافي الذي يُحَدِد طبيعة النصوص الأدبية وطرق تقويمها في الوقت ذاته[٧].

---

[١] ينظر: مسارات النقد ومدارات ما بعد الحداثة : ١٢٨.

[٢] ينظر: مدخل في نظرية النقد الثقافي المقارن: ١٥.

[٣] ينظر: النظرية والنقد الثقافي "الكتابة العربية في عالم متغير، واقعها ،سياقها وبناها الشعورية": ١٤.

[٤] ينظر: النظرية والنقد الثقافي "الكتابة العربية في عالم متغير، واقعها ،سياقها وبناها الشعورية: ١٤-١٥.

[٥] ينظر: مدخل في نظرية النقد الثقافي المقارن: ٤٧.

[٦] ينظر: م.ن: ٥٢-٥٤.

[٧] ينظر: النقد الثقافي وآليات إنتاجه ، د. جاسم محمد، مجلة آفاق عدد (٣٩)، آيار ، ٢٠١١: ١-٢(مصدر من الانترنت).

الأنساق الثقافية في أدب بلاد الرافدين:يتجلى مفهوم النسق الثقافي في نتاج حقليين معرفيين هما الانثروبولوجيا والنقد الحديث والنسق مفهوم ليس جديد بالمطلق فقد جرى توصيفه في مفاهيم قريبه من هذا المفهوم في مجال الانثروبولوجيا وعلم الاجتماع والنقد الحديث [١]

وقد سبق عالم اللسانيات فرديناند دي سوسير أن استخدم هذا مفهوم النسق في تعريفه للغة بقوله ان اللغة عبارة عن "نسق من العلامات يعبر عن الافكار ،ولهذا فهي مشابهة لنسق الكتابة وابجدية الصم والشعائر الرمزية وصيغ المجاملة...ولكنها اعظم اهمية من هذه الانساق"[٢].

فهو نظام ينطوي على استقلال ذاتي يشكل كلا موحدا، وتقترن كليته بآنيّة علاقاته التي لاقيمة للأجزاء خارجها ، فالنسق عند سوسير قريب من مفهوم البنية[٣].والتي يقصد بها–اي البنية–بانها "نسق من العلاقات الباطنه (المدركة وفقا لمبدا الاولية المطلقة للكل على الأجزاء) له قوانينه الخاصة المحايثة ،من حيث هو نسق يتصف بالوحدة الداخلية والانتظام الذاتي، على نحو يفضي فيه أي تغيير في العلاقات الى تغيير في النسق نفسه، وعلى نحو ينطوي معه المجموع الكلي للعلاقات على دلالة يغدو معها النسق دالا على معنى "[٤]

وفي ضوء ماتقدم يمكن القول ان مفهوم النسق الثقافي هز مصطلح تولد من التقاء مفهوم النسق مع مفهوم الثقافة وهو يشمل النظم الاجتماعية والدينية والثقافية المتفاعلة فيما بينها والتي يكتسبها الانسان في مجتمع ما ، وهي ذات صلة وثيقة في إنتاج اي خطاب ابداعي كان أو فكري[٥].

وقد إرتاينا الاعتماد على نموذجين في محاولة توضيح الأنساق الثقافية المتحركة وتتبعها وصولا الى كشف غاياتها وأهدافها المضمرة هما: اسطوري يمثل خطاب الالهة وصراعها وهو سفر التكوين البابلي ملحمة الخليقة الاولى "حينما في الأعالي" والاخر: ملحمي شعري يمثل خطاب الآلهة و أنصاف الالهة و البشر،وهو "ملحمة جلجامش"في محاولة توضيح الأنساق الثقافية المتحركة وتتبعها وصولا الى كشف غاياتها وأهدافها المضمرة.

ويمكن تقسيم المراحل الثقافية التي تحرك على وفقها هذين النموذجين الى ثلاث مستويات:

المستوى الاول:الخطاب المؤسس للإلوهة الابوية البطرياركية:

وقد تمثل في تأسيس خطاب مقابل للخطاب الانثوي الصاعد والمهيمن ودفع ذلك الثقافة البطرياركية الكاتبة للخطاب الى تأسيس خطاب مغاير محاولة منه لكسر النسق الأنثوي المهيمن وجوديا. وقد تجلى ذلك في مطلع سفر التكوين البابلي:

" حينما في الاعالي لم تكن السماء (بعد) قد سميت
و في الأسافل لم تكن الارض (بعد) قد ذكرت بأسم
حينما كان " أبسو" الاوّل منجبهم

---

(٥)- ينظر: تمثيلات الاخر –صورة السود في المتخيل العربي الوسيط ،نادر كاظم ، المؤسسة العربية للدراسات و النشر ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ٢٠٠٤: ٩٢

(٦) – محاضرات في علم اللسان العام ، فرديناند دي سوسير ، تر: عبد القادر قنيني، افريقيا الشرق ، المغرب ،٢٠٠٨ : ٣١

[3])عصر البنيوية من ليفي شتراوس الى فوكو ،تأليف : أديث كيروزيل ، تر:جابر عصفور ، دار افاق عربية للصحافة والطباعة النشر، بغداد ، د.ط ،١٩٨٥ : ٢٩١

[4] – م ، ن :٢٨٩

[5]–ينظر: تداخل الأنساق الثقافية في كتاب الاغاني "رسالة ماجستير" ، رائد حاكم شرار الكعبي ، جامعة بابل ، كلية التربية للعلوم الانسانية ، ٢٠١٣: ٧

و " ممو" (و) " تئامت" التي ولدتهم جميعاً.." [١]

حيث يلاحظ حضور نسق ذكوري جمعي مخفي يحرك الفضاء الثقافي للمتن منذ مطلع النص ويتم دعمه وفق انساق متعددة لعل ابرزها النسق الديني والسياسي السلطوي ، في محاولة لإيجاد تبرير لفعل القتل وانتهاك المحرمات تحت اطار المقدس الديني السلطوي.

اما النسق السياسي فقد تمثل في دعم السلطة العليا للحضور الذكوري في الخطاب ورعايتها وتوجيهها لهذا الخطاب حتى يبلغ غاياته ويحقق مراميه. فمنشأ العنف ابتدا من النسق الذكوري الذي تمثل بـــ"آبسو" وقرينه "ممّو" مقابل نسق الرفض الأمومي "تئامت" لينتهي الصراع الى موجهة فعلية بين "إيا" ممثل الجانب الامومي و"الابسو" و "ممو" ممثلي الثقافة الابوية

وقد تمثل النسق السياسي و الديني في نص التكوين في مواضع عدة ولعل ابرزها بناء "الآبسو" المقدس :

"حين سلط النوم على "ابسو" غطّ "آبسو" في النوم
(أما) "ممّو" مستشاره
(فقد) سلب عنه طوقه ، وانتزع منه تاجه
سلب منه بهاءه وتحلى به...
وحين اخضع "ابسو" (هكذا) ذبحه
(أما) "ممّو" فقد حبسه ، واوصد (الباب) دونه...
وقرّ بسلام في مقره.
سمّاه "أبسو" ، وجعله حرما مقدسا...
في داخل الـــ"أبسو" المقدس ولد "مردوك" ..."[٢]

نجد في النص إضفاء صفة القدسية والشرعية على فعل العنف لتبريره على وفق ما يتلائم مع توجهات السلطة السياسية الدينية المهيمنة. فهو "الحرم المقدس " و"حجرة الاقدار" و"مقر المصائر" . أما رموز السلطة السياسية فقد تمثلت في سلب التاج والطوق والبهاء.

وهي علامات نجد نظيراتها في الملحمة والتي تمثل خطاب انصاف الالهة والبشر فمطلع الملحمة يشير الى تضخيم في صورة البطل الثقافي جلجامش بوصفه نسقا متحركا يحظى بمباركة سياسية ودينية :

"حباه "شمش" * السماوي بالحسن ، وخصه "ادد"* بالبطولة
جعل الالهة العظام صورة جلجامش تامة كامله
كان طوله أحد عشر ذراعا وعرض صدره تسعة اشبار
ثلثان منه اله وثلثه لباقي بشر
وهيئة جسمه لانظير لها"[٣]

حيث تبدو سمات السيادة السياسية والدينية على النسق الذكوري المتحرك واضحة وهو ما يكشف عن أيديولوجية ذكورية جمعية تحاول تغييب الفكر الانثوي من أعماق الضمير الجمعي بأدوات شرعية تحظى

---

[1] –سفر التكوين البابلي قصة الخليقة ملحمة" حينما في الأعالي " ألكسندر هايدل ، تر جمة سعيد الغانمي، منشورات الجمل ،كولونيا(المانيا)–بغداد ،ط ١ ،٢٠٠٧: ٣٥

[2] –سفر التكوين البابلي قصة الخليقة ملحمة" حينما في الاعالي":٣٨–٣٩

*"شمش" هو اله الشمس السلطة الشمسية المقابلة للسلطة القمرية المؤنثة وهو ايضا اله العدل و الشرائع. "أدد": اله الرعود والعواصف.

[3] –ملحمة جلجامش "أوديسة العراق الخالدة" طه باقر ،مديرية الفنون والثقافة الشعبية وزارة الارشاد،بغداد ،د.ط ،١٩٦٢ :٣٨

بإستجابة جماهيرية مخضعة بذلك الفكر الإنساني لغايات الأيديولوجية التسلطية للنسق الذكوري بصورة لا إرادية متقنعة بأقنعة الابداع الجمالي الادبي.

المتسوى الثاني: الصدام الثقافي بين الثقافتين الاومية والابوية وصعود الحضارة الابوية.

وبهذا المحور يلاحظ ارتقاء الرموز الذكورية تدريجياً منذ لحظة التأسيس الاولى لتصل الى مستوى مقابل للوجود الإنثوي المهيمن والمتحكم وجوديا لينشأ الصدام بين الثقافتين . وهو صدام ظهر في صورة صراع بين المياه العذبة "آبسو" والضباب "ممّو" وبين المياه المالحة "تئامت" وقد بلغ ذروته حينما أستلب "مردوك" نواميس الأُم الاولى "تئامت" وإخضاع قرينها "كنغو" وسلبه لوح المصائر احد نواميس الام الاولى" تئامت" ثم تجاوز ذلك الى قتلها وشق جسدها الى نصفين ليجعل احدهما سماء ،ويجعل الآخر ارضا ،كما يظهر في النص:

" "تئامت" و "مردوك" أحكم الالهة ، تقدما من بعضهما،

دلفا لقتال فردي ، وتقاربا للمعركة...

وحين أخضعها دمّر حياتها ،

والقى الى الاسفل بجثتها ، ووطأ عليها...

أما "كنغو" الذي صار الرئيس من بينهم ،

فقد قيده وعده في زمرة الالهة الموتي

انتزع منه لوح المصائر الذي كان يملكه بغير حق.

وختم عليه بختمه وشده على صدره.

قاس الرب ابعاد الـــ"أبسو".

وأقام بناءً عظيما ،نظيره ،سماه "إشرّا"[1]

نجد ان النسق الذكوري المحرك للخطاب يتخذ من أدوات السلطة السياسية الدينية مبررا لفعل الإنتهاك والقتل للأصل المؤسس "تئامت" وقرينها "كنغو" وقد تمكن تحت إطار النسق الديني والسلطوي من تحقيق غاياته، حيث خضع لجملة شعائر وطقوس دينية وسياسية جمعية ليتمكن من تحقيق وجوده . فلكي يحقق النسق أهدافه لابدّ أن يحافظ على الإستجابة للبنية الجمعية المهيمنة. وهو ماحققه "مردوك" حيث حظي بإجماع جماهيري في مجمع الآلهة فقرروا له المصير، وأسلموه رداء السلطة ، ثم أقام حرما مقدسا مقابل الحرم الاول ليبرر إنتهاكه ويحافظ على وجوده وثباته.

ونجد الصورة ذاتها تتكرر في الخطاب الملحمي حيث يخضع البطل جلجامش مع نظيره انكيدو بصورة كلية للسلطة السياسية والدينية، واستجابته لهم:

"وجلس شيوخ اوروك مواجهين جلجامش فخاطبهم وقال:

"اسمعو ياشيوخ "اوروك" ،ذات الاسواق:

أريد أنا جلجامش ، ان أرى من يتحدثون عنه

ذلك الذي ملأ إسمه البلدان

عزمت على أن أغلبه في غابة الأرز

سأجعل الأنباء عن ابن "اوروك" تبلغ البلاد

[1] -سفر التكوين البابلي قصة الخليقة ملحمة "حينما في الاعالي":٦٤-٦٧

فتقول عني : ماأشجع سليل اوروك وما اقواه...
خاطب شيوخ "اوروك"جلجامش وقالوا له ايضا
عسى ان ينصرك الهك الحامي ...
ثم سجد جلجامش للاله "شمش"ودعاه:
إنني ذاهب يا"شمش" وإليك أرفع يدي
عسى ان تنال روحي الخير والبركة...
وباركه الشيوخ وأسدو له النصح في سفره وقالوا له
"أيها الملك كلنا نطيعك في مجلس الشورى". (١)

يظهر النص خضوع الرموز الذكورية للسلطة الساسية والدينية خضوعا تاما لتبرير انتهاك فعل القتل للرمز الانثوي "خمبابا" ، ولكنها تكشف في العمق عن ثقافة متسلطة مقنعة تحاول تمرير أنساقها المضمرة تحت إطار السياسي الديني المسلم له ثقافيا، فالنسق السياسي الديني عمل كموجه اجتماعي وسلوكي وحظي بمقبولية جماهيرية ليبرر انتهاكه للمقدس الأنثوي تحت إطار الخضوع للبنية الجمعية الواعية للمجتمع ، ولاهمّ له سوى جعل انتهاكاته مبررة مقنعه بإطار الشرعية الجماعية وتحظى بمقبوليّة جماهيريّة وهو ماعمل جلجامش وأنكيدو على تحقيقه وقد تم ذلك بمباركة مجلس الشيوخ له وبذلك تحقق النصر الثقافي على السلطة المؤنثة عشتار ورموزها "خمبابا" و"الثور السماوي" واقيمت الافراح احتفالا بالبطلان من أبناء اوروك.

المستوى الثالث: ويمثل مرحلة التحول الثقافي :وهي المرحلة التي تمثلت بانتصار الثقافة الابوية وإستلابها لرموز السلطة الامومية وتحويلها الى رموز ابوية. وهي تمثل ذروة الصعود البطرياركي حيث تجاوز الانتصار الابوي على السلطة الامومية الى سلب كافه رموزها ونواميسها وتحويلها الى رموز ونواميس ذكورية .حيث يسلب "مردوك" لوح المصائر من "كنغو" قرين الالهة الانثئ "تئامت"

"أما كنغو الذي صار الرئيس من بينهم،
فقد قيده وعدّه في زمرة الالهة الموتى
أنتزع منه لوح المصائر، الذي كان يملكه بغير حق.
وختم عليه بختمه وشده على صدره."[٢]

ونجد صورة للتحول في نص الملحمي حيث يشير النص الى أن الرمز البطرياركي الصاعد جلجامش بعد أن كان يمثل امام الالهة المؤنثه " ننسون" ويصلي لها ويخاطبها لتبارك له سفره وقرب عودته . قد تحول بعد عودة البطلين منتصرين الى اوروك، فقد ظهرت عشتار "الرمز الاموي" بصورة الضعيف المقصي والهامشي الذي يتوسل بالمركزي الذكوري جلجامش ليحقق ذاته. فتقوم بعرض نواميسها وسلطاتها على جلجامش ليقابلها بالرفض والإهانة وتعداد المثالب:

"رفعت عشتار الجليلة عينيها ورمقت جمال جلجامش(فنادته):
"تعال يا جلجامش وكن عريسي
وهبني ثمرتك اتمتع بها
كن زوجي واكون زوجك..."٣

---

[1] -ملحمة جلجامش:٥٤-٥٥

[2] -سفر التكوين البابلي :قصة الخليقة ملحمة "حينما في الاعالي":٦٥-٦٦

[3] -ملحمة جلجامش:٦٠

فيقابلها جلجامش بالرفض ويتجاوز ذلك الى تعداد هناتها وعيوبها بقوله:

"أي خير سانالـه لو تزوجتك؟

انت! مانت الا الموقد الذي تخمد ناره في البرد...

تعالي أقص عليك (مآسي) عشاقك :

من اجل "تموز"، حبيب صباك

قد قضيت بالبكاء سنة بعد سنة

لقد احببت (طير) الشقراق المرقش

ولكنك ضربته بعصاك وكسرت جناحه...

فإذا ما احببتني فستجعلين مصيري مثل هؤلاء"[1]

يلاحظ تحول في صورة الالهة الانثى المقدسة "تئامت" "ننسون _ارورو" "شمخت" "عشتار" الى صورة سلبية تحركت وفق ايديولوجية ذكورية وبمباركة جماعية لتبلغ ذروتها وتعلن عن حقيقتها في لحظه انتصارها وتمكنها.

هكذا يتخذ النسق الثقافي "السياسي–الديني–الاجتماعي..."من الدعم الجماهيري غطاء يتستر به ليبلغ غاياته ويحقق مراميه حيث يسير متوافقا مع البنية الدينية والسياسية خاضعا لطقوسها ومحرماتها وعقائدها سائرا بمباركتها فعمل على تحقيق وجوده داخل نظامها الثابت في الوعي الجمعي وتمكن من تحقيق مراميه ضمن الالتزام بأطرها الشرعية.

إنها ايديولوجية ذكورية تعمل منذ مطالع الخطاب الاولى على تغييب الثقافة الانثوية في اعماق ضمير جمعي قابل للاستجابة لهذه الأنساق وواثقا من تأويلاتها وتبريراته ومسلما بها حيث يسير معها تحت إطار المقدس الديني متناسيا الأصل الامومي المؤسس ومتحولا عنه الى بناء جديد مؤسس على انقاض الاصل المنتهك ومستلبا لكل نواميسه ورموزه وادواته ومتجاوزاً ذلك الى قتله وإقصائه من مجمل الخطاب الاسطوري والملحمي.

الاستنتاجات

بعد الاطلاع على ادب وادي الرافدين تم التوصل للأتي:–

١–تميز هذا الادب بنزعته الوجودية التي عالجت القضايا التي شغلت فكر الانسان من لحظة وجوده الى العصر الحالي.

٢–تمثل الاسطورة البابلية (الاينوما إليش) الآراء العلمية السائدة انذاك في تفسير نشوء الكون وهي بذلك وثيقة علمية أقرب الى الوثيقة الأدبية .

٣–تميز الادب العراقي القديم بتنوع الموضوعات واسبقية التناول فتفوق بذلك على الاداب العالمية الاخرى.

٤–الادب العراقي القديم مرآة عاكسة لنمط الحياة في المجتمع العراقي القديم ويسجل طقوسه وعاداته ومواقفه من تفاصيل الحياة ويكشف تداخل الفكر الديني مع الفكر الواقعي وأثر الفكر الديني في توجيه الكثير من تفاصيل الحياة اليومية.

---

[1] –م ،ن :٦٠–٦٣

٥-قام الأدب العراقي القديم على علاقة جدلية بين الإنسان والطبيعة اذ وظف الشعر صور البيئة المدنية والريفية وكذلك كانت خيالاته متنزعة من الطبيعة كالماء والسماء والنجوم والطيور والحيوانات وغيرها.

اهم التوصيات

وجدت الدراسة ان ادب وادي الرافدين على مستوى عالٍ من العمق والسعة التنوع اذ بلغ من هذا الادب ((٨٠ اسطورة وملحمة)) فضلاً عن الانواع الاخرى كـ(الحكمة- الغزل- الرثاء- السخرية والهجاء- التراتيل والترانيم والصلوات-المفاخرات والمناظرات-ادب الفكاهة والنوادر- ادب الحيوان ...الخ) مما يوفر مساحة واسعة وبكر للدراسات.

وقد لمست الباحثة ندرة الدراسات الاكاديمية لهذا الموضوع وقد وجدت الباحثة أنه بالإمكان دراسة هذا المتن من زوايا متعددة لعمق مضمونه، وغزارة مواضيعه . لذا توصي الباحثة بالآتي:-

١-تخصص مادة لدراسة هذا الادب في جميع مراحل الدراسة كونه يمثل الهوية الثقافية والحضارية العراقية، وكون اكثر النظم الثقافية في المنطقة ما هي الا توسعات لما طرحته هذه الحضارة.

٢-توصي الباحثة بتكثيف العلاقة بين الجامعة وبين وزارة الاثار والتراث لحساسية الموضوع وأهميته حفاظاً على هذا الإرث من الضياع.

٣-أرشفة هذا الأدب وتصنيفه وجلب ما ضاع و سرق منه الى المتاحف العالمية وإعادة حفظه وحمايته.

٤-تطوير مراكز الدراسات الحضارية و الإهتمام بالآثار الشاخصة كونها تعكس هوية وثقافة البلد فضلاً عن جانبها السياحي والاقتصادي.

٥-توصي الباحثة بعناوين لدراسة هذا الادب منها ((ادب وادي الرافدين ضوء النقد النسوي)) و ((التناص بين أدب بلاد الرافدين والنصوص المقدسة "التوراة انموذجاً")) و ((التناص الإسطوري بين الآداب القديمة والأدب الجاهلي)) و((رصد هجرة الثيمات المعنوية الكبرى الى الثقافات المجاورة الاخرى)).

المصادر

سفر التكوين البابلي قصة الخليقة ملحمة" حينما في الاعالي" ألكسندر هايدل، تر جمة سعيد الغانمي،منشورات الجمل ،كولونيا(المانيا)-بغداد ،ط ١ ،٢٠٠٧

ملحمة جلجامش "أوديسة العراق الخالدة"طه باقر ،مديرية الفنون والثقافة الشعبية وزارة الارشاد،بغداد،د.ط،١٩٦٢

مقدمة في أدب العراق القديم: طه باقر، دار الحرية ، بغداد، ط١ ، ١٩٧٦

مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة ، (الوجيز في تأريخ حضارة وادي الرافدين)ج ١، طه باقر، دار الوراق، بيروت، ط١، ٢٠٠٩

تاريخ الشرق الأدنى القديم ، د. قيس حاتم هاني الجنابي، دار الصفاء، عمان، ط١، ٢٠١٠

لسان العرب: للإمام العلامة ابي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الافريقي المصري، المجلد الرابع، (ص-ض-ط- ظ- ع)، دار صادر، بيروت، ط١، ١٩٩٧.

دليل الناقد الادبي – إضاءة لأكثر من سبعين تياراً واتجاهاً نقدياً – ميجان الرويلي، سعد البازعي، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط٥، ٢٠٠٧.

النظرية الثقافية- وجهات نظر كلاسيكية ومعاصرة ، ترجمة وتقديم محمود احمد عبد الله، المركز القومي للترجمة، القاهرة ، ط١ ،٢٠١٢ .

النقد الثقافي المقارن، "من منظور جدلي تفكيكي"،عز الدين المناصرة، دار مجدلاوي، الاردن ، ط١، ٢٠٠٥:٢٣١-٢٣٢.

النظرية والنقد الثقافي : الكتابة العربية في عالم متغير واقعها، سياقاتها وبناها الشعورية"محسن جاسم الموسوي ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ،بيروت، ط١ ، ٢٠٠٥.

في النقد والنقد الألسني، ابراهيم خليل، امانة عمان الكبرى، د. ط ، ٢٠٠٢.

مدخل في نظرية النقد الثقافي المقارن، أ.د. حفناوي بعلي ، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط١، ١٤٩٨- ٢٠٠٧ .

مسارات النقد ومدارات ما بعد الحداثة ، حفناوي بعلي ، أمانة عمان، الأردن ، ط١، ٢٠٠٧.

النقد الثقافي وآليات إنتاجه ، د. جاسم محمد، مجلة آفاق عدد (٣٩)، آيار ، ٢٠١١ (مصدر من الانترنت).